

الباب الرابع في بيان حكم الغيبة والنميمة والفرق بينهما

كل منهما حرام بالإجماع ، وإنما الخلاف في الغيبة هل هي كبيرة أو صغيرة ؟
ونقل الإجماع على أنها كبيرة ، وقال آخرون : محلها إن كانت في طلبه العلم ،
وحملة القرآن ، وإلا كانت صغيرة .

وأما النميمة فإنها كبيرة ، وهي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة
الإفساد بينهم ، وقد تطلق على أعم من ذلك ، وهو كشف ما يكره كشفه ،
سواء كراهة المنقول عنه ، أو إليه ، أو كرهه ثالث ، وسواء كان الكشف
بالقول ، أو بالكتب ، أو بالرمز ، أو بالإيماء ، وسواء كان المنقول من الأفعال ،
أو من الأقوال ، وسواء كان ذلك عيباً أو نقصاً في المنقول عنه ، أو لم يكن .

نعم ما في حكايته فائدة ، أو رفع لمفسدة ، كما إذا رأى من يتناول مال
غيره ، فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه ، بخلاف ما لو رأى إنساناً
يخفي مالاً لنفسه ، فذكره فهو غيبة ، وإفشاء للسِر .

فإن كان ما ينمُّ به نقصاً في المحكى عنه فهو غيبة ونميمة ، هكذا ذكره
الغزالي وكلام أئمتنا لا يساعده ، بل الحاصل من كلامهم أن بينهما عموماً
وخصوصاً مطلقاً ، فكل نميمة غيبة ، وليس كل غيبة نميمة .

فإن الإنسان قد يذكر عن غيره ما يكرهه ، ولا إفساد فيه ، بينه وبين أحد ،
وهذا غيبة فقط ، وقد يذكر عن غيره ما يكرهه ، وفيه إفساد ، وهذا غيبة
ونميمة ، وورد في تحريم النميمة أحاديث تقدم بعضها ، ولا بأس بذكرها أو
غيرها ههنا .

قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

« لا يدخل الجنة نمام »^(١١٧) متفق عليه .

(حكم من أشاع الفسق عن أهل الصلاح)

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

« من أشاع عن مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق ، شأنه الله تعالى بها في النار يوم القيامة »^(١١٨) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني وفيه متروك .

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

« أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء يشينه بها في الدنيا ، كان حقا على الله أن يشينه بها يوم القيامة في النار »^(١١٩) رواه ابن أبي الدنيا موقوفا ، والطبراني بلفظ آخر مرفوعا .

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

« من كان له وجهان في الدنيا ، كان له لسانان من نار يوم القيامة »^(١٢٠) رواه البخاري في تاريخه ، وأبو داود بسند حسن .

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

« تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين »^(١٢١) متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس .

(١١٧) البخاري (٢١/٨) ، مسلم (١١٢/٢) ، أحمد (٣٨٩/٥) ، (٣٩١/٥) ، (٣٩٦) .
(١١٨) ابن أبي الدنيا (٢٥٦) ، قال العراقي (١٥١/٣) في الإحياء : ابن أبي الدنيا في الصمت ، والطبراني في مكارم الأخلاق ، وفيه عبدالله بن ميمون فإن يكن القداح فهو متروك الحديث .

(١١٩) ابن أبي الدنيا (٢٥٧) في الصمت ، موقوفاً على أبي الدرداء .
(١٢٠) البخاري (١٣١٠) في الأدب المفرد ، أبوداود (٤٨٥٢) ، الدارمي (٣١٤/٢) ، ابن حبان (١٩٧٩) ، صحيح الجامع (٦٣٧٢) وقال : صحيح .
(١٢١) البخاري (٢١٧/٤) ، (٢١/٨) ، مسلم (١٥٦/١٦) ، أبوداود (٤٨٥) ، أحمد (٢٤٥/٢) ، (٣٠٧/٢) ، الترمذي (٢٠٩٤) .

خاتمة

في بيان العلاج الذي يمتنع به اللسان من الغيبة وغيرها

أعلم أن لها علاجين : أحدهما : وهو أن يعلم الإنسان أنه متعرض لسخط الله تعالى ومقته ، وهو أنه يعيبه كما دلت عليه الأخبار السابقة .

ويعلم أنها تحبط حسناته ، فإن حسناته تؤخذ يوم القيامة لمن اغتابه بدلاً عما استباح من عرضه ، فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه ، فرمما ترجح كفة سيئاته فيدخل النار ، وقد يحصل ذلك الرجل بإذهاب حسنة واحدة من حسناته ، أو يوضع سيئة واحدة من سيئات خصمه ، وعلى تقدير ألا يحصل هذا الرجحان ، فكفى بنقص الحسنات عقاباً مع المخاصمة والمطالبة ، والسؤال والجواب ، والحساب .

وقد نقل عن الحسن - رضي الله تعالى عنه - قال : بلغني أنك تغتابني . فقال : ما بلغ من قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي .

ومما يكفه عن الغيبة أيضاً إيمانه بتلك الأخبار التي قدمناها فيها ، فإذا تدبرها حق التدبر لم ينطق لسانه بغيبة .

وأن يتدبر في نفسه وعبوبها ، وتقصيرها بذلك ، وبصلاحها عن عيوب الناس ، والكلام فيهم ، وعلى من به عيب أن يستحي من الله تعالى الذي لا يخفى عليه خافية .

حيث يرى نفسه ويتذكر عيوب غيره ، بل ينبغي له أن يلتمس له عذراً ، ومخرجا ، ويعلم أن عجزه عن تطهير نفسه من ذلك العيب كعجزه هو عن تطهير

نفسه من عيوبها ، فإن كان الدم له بأمر خَلْقِي كان ذمًّا للخالق ، فإن دم الصنعة يستلزم ذم صانعها .

ثانيهما : على التفصيل بأن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة ، فإن علاج العلة إنما يتم بقطع سببها المستمدة هي منه ، ومن جملة أسبابها: الغضب .
فيقول : إن أمضيت غضبي عليه فلعل الله سبحانه يمضى غضبه عليَّ بسبب الغيبة ، إذ نهاني عنها فاجترأت على نيهي ، واستخففت بزجره .

ومنها : موافقتك للغير ، وعلاجها : أن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه برضا المخلوقين ، فكيف ترضى لنفسك أن تُوقرَّ عليك ، وتُحقَّرَ مولاك ، بترك رضائه لرضائهم ؟ ! ، وعلى تقدير أن غضبك لله فهو لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء لغير ضرورة ، بل ينبغي أن تغضب على من اغتابه ، فإنهم عصوا ربك بذنب أفحش الذنوب ، وهو الغيبة .

ومنها : تنزيه النفس بنسبة الخيانة إلى الغير ، وعلاجه أن تعرض لمقت الله أشد من التعرض لمقت الخلق ، وأنت بالغيبة قد تعرضت لسخط الله تعالى يقيناً ، ولا تدري هل تخلص من سخط الناس ، أو لا تخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلل في الآخرة ، وتخسر حسناتك بالحقيقة ، وتحصل ذم الله تعالى حالاً ، وتنتظر رفع ذم الخلق في المستقبل ، وهذا غاية الجهل والخذلان .

ومنها : قصد المباحات ، وتركية النفس بزيادة الفضل ، بأن تقدح في غيرك . وعلاج ذلك أن تعلم أنك بما ذكرته أبطلت فضلك عند الله تعالى ، إن كان لك فضل ، وأنت من اعتقاد الناس فضلك لست على يقين ، وعلى تقدير أنهم يعتقدونك ، فربما نقصر، اعتقادهم فيك أو زال بالكلية ، إذا عرفوك بثلب

أعراض الناس ، فأنت بائع ما عند الله يقينا ، بما عند الناس وهماً ، ولو اعتقدوا فضلك لم يغبوا عنك من الله شيئاً ، على أن قلوبهم بيد الله فرمما ألقى فيها بغضك كذلك ، والإعراض عنك ، فتدبر دقائق الأمور ، ولا تغتر بظواهرها .

ومنها : الحسد ، وهو جمع بين عذابين ؛ لأنك حسدته على نعمة الدنيا ، فكنت معذباً بالحسد ، فما قنعت بذلك حتى أضفت إليه عذاباً في الآخرة ، فجمعت بين خسران الدنيا والآخرة ، وكنت في الحقيقة صديقاً للحسود ، وعدواً لنفسك ، فإنك أضفت إليه حسناتك ، وتحملت سيئاته ، مع أنه لا يضره حسدك ، وغيبتك ، بل ربما كان سبباً لانتشار فضله .

ومنها : الاستهزاء ، وعلاجه أن تعلم أنك متى أخزيت غيرك عند الناس ، كنت مخزياً لنفسك عند الله وملائكته ورسله فخسارتك وخزبك أقطع وأشد .

ومنها : أن تقصد بذلك رحمتك له .

ومنها : تعجبك ، وعلاجه بأنه ينبغي لك أن تتعجب من نفسك ، كيف أهلكت دينك بدين غيرك ، أو بدنياه ، فأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا ، وهو أن يهتك الله سترك ؛ كما هتك التعجب ستر أخيك .

إذا علمت تلك الأسباب وعلاجها ، واستعملت هذا الدواء الذي وصفته لك ، سلمت إن شاء الله تعالى من ضرر الغيبة ، وكنت ممن اشتغل بعبوره عن عيوب الناس ، وصان لسانه عن أن ينطق إلا بخير ، ففاز بخيرى الدنيا والآخرة .

وقفنا الله تعالى لسلك هذا الطريق الأقوم ، وختم لنا بالحسنى ، وأجارنا من كل فتنه ومحنة ، إلى أن نلقاه ، وهو عنا راض ، من غير سابقة عذاب ، وأن يحشرنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

obeikandi.com